موقف جاكلين روز من أخلاق القوة عند نيتشه

J.Rose position of Nietzsche of power ethics

الدكتور زروخي الدراجي [1*]، الباحثة سيفي فيروز[2]

[1] قسم الفلسفة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

[2] قسم الفلسفة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

تاريخ الارسال: 2018/07/20 تاريخ القبول:2019/01/23 تاريخ النشر: 2019/06/16

****

ملخص: إذا اعتبرنا أن الإنسان كائن عاقل فإن هذا التعريف لا يأخذ بعده الإنساني إلا إذا كان الإنسان كائن أخلاقي، فالعقل والأخلاق ثنائية لا تنفصل، ولم تخلو أي حضارة من اشتغال علمائها أو فلاسفتها أو رجال دينها من الحديث عن الأخلاق، لأنها تستكشف خصائص العدل وواجبات الإنسان وتبرز مجموعة من المشكلات في مجال الأخلاق، لأننا كثيرًا ما نجد صعوبة في إدراك ما يلزم القيام به. وفي العديد من الحالات تتعارض فيها واجباتنا، ونجد صعوبة في تحديد طريقة تعاملنا مع الآخر، فضلاً عن كون الناس يختلفون حول ما إذا كان عمل من الأعمال أو مبدأ من المبادئ صائبًا أو خاطئًا من الناحية الأخلاقية. وتأسست فلسفة القوة مع نتشه لتوجه الإنسان وتحدد له معالم الأخلاق والسياسة التي ترفع من شأنه، هذه الفلسفة تعرضت لمجموعة من الانتقادات كونها فلسفة عنصرية وقائمة على العصبية من قبل الكثير من الأسماء من بينهم جاكلين روز وهذا ما يبنه هذا المقال.

كلمات مفتاحية :الأخلاق، الإنسان، العدالة، العقل، العصبية

Abstract: If we consider that the human is a rational being, this definition does not take his human dimension unless human is a moral being. Reason and ethics are inseparable. And any culture of civilizations is not free from the work of its scientists, philosophers, or clerics and their Talk about ethics, Because it explores the characteristics of justice and human duties, and a number of problems arise in ethics, because we often find it difficult to recognize what needs to be done. In many cases our duties are in conflict, and we find it difficult to determine how we deal with each other, as well as the fact that people differ on whether a business or principle is right or morally wrong. It sets out the characteristics of ethics and politics that raise it. This philosophy has been subjected to a number of criticisms as a racist and neural philosophy by many names including Rose and this article builds.

Keywords : justice, racist, Reason, ethics, human

مقدمة:

ساهم اليونانيون القدامى في تأسيس قواعد علم الأخلاق على مبادئ فلسفية، ولا يكاد الحديث عن علم الأخلاق ينفصل عن فلسفة الأخلاق نظرا لعلاقة التداخل القائمة بينهما، وكان البحث في المسائل الأخلاقية في العصور الوسطى وفي عصر النهضة يساير الفكر الديني ويتأثر

[*]- الباحث المرسل .**dzerrokhi@yahoo.fr**

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

به أشد تأثر، ومع بداية القرن السابع عشر بدأت المفاهيم الأخلاقية تنفصل تدريجيا عن الدين حتى وصلت إلى حد القطيعة النهائية مع بداية القرن الثامن عشر، وهذا ما جسده العديد من الفلاسفة على غرار سبنوزا وكانط وديكارت وونيتشه وغيرهم من الفلاسفة الذين ساهموا في نشأة فكر أخلاقي فلسفي. عن طريق استخدام العقل، أي أننا بالعقل ندرك الجوهر وبإدراكنا للجوهر نؤسس الكثير من الحقائق ومنها القيم الأخلاقية. وشكلت العدمية أحد محاور الفكر الأخلاقي الفلسفي في الفترة المعاصرة، وتعتبر جاكلين روز واحدة من الأسماء المعاصرة البارزة من خلال نقدها للفكر الأخلاقي الأوربي خاصة منه فلسفة القوة. فكيف كانت نظرتها إلى أخلاق القوة وما حجتها في ذلك؟ هذا ما ستناوله في مقالنا هذا من خلال تطرقنا للعناصر التالية:

1/ نيتشه ومؤثرات نشأة فلسفته الأخلاقية:

لا يمكن حصر الفلسفات التي تأثر بها نيتشه أو حتى الأسماء، لكن بعضها أكثر تأثيرا في فلسفته من البعض الآخر، ويعتبر شوبنهاور أحد الأسماء البارزة التي أثرت بشكل كبير في تكوين فلسفة نيتشه الأخلاقية إذ كان تأليفه لكتاب أصل الأخلاق من خلال ثورته على أخلاق التشاؤم متمثلا في رد فعله على " شوبنهور "، وكذلك في كتابه إنسان مفرط في إنسانيته، وهو تعبير عن قيمة اللأنانية وقيمة غرائز الشفقة، هنا بدأ نيتشه يضع يده على الخيوط الأساسية لمشكلته الأخلاقية فأدرك أول ما أدرك أن الشفقة ما هي إلا عارض من عوارض الثقافة الأوروبية تشبه إلى حد بعيد أخلاق البوذية، وقد كانت هذه الشفقة سببا في ثورة من الشكوك مصاحبة بنداء التجديد والثورة على الفكر السابق، إنها الحاجة إلى نقد القيم الأخلاقية الضرورية ووضع القيم الأخلاقية على بساط البحث، ولأجل ذلك كان الهدف الأول هو معرفة الشروط والأسباب التي أنشأتها وقد كانت قيمة القيم هي قيمة "الطيب " في مقابل قيمة " الخبيث " وهي أقل منها درجة .

2/ الثورة على القيم الأخلاقية والدينية السائدة في المجتمع المسيحي:

أ/ تاريخ الأخلاق عند نيتشه:

تاريخ الأخلاق عند نيتشه هو تاريخ لمجموعة من المفاهيم المتقابلة، وتربطها علاقات ذات طابع جدلي لا يغيب عنها معنى السلب والنفي في أي لحظة سواء أثناء التأسيس أو أثناء الممارسة والسلوك، ومن أشدها تأثيرا في نشأة الأخلاق على مر الأجيال والقرون مفهومي " الخير والشر "،

وما حاول نيتشه التأكيد عليه من الوهلة الأولى هو أن تلك المقابلة لم تأت عرضا وبصورة عفوية بل هي كما يقول: " تشح من البراءة كما أن مفهوم الطيب والخبيث ليس واحدا وليس ثابتا "[1].

في بادئ الأمر كانت أحكام الطيب والخبيث أحكاما مقررة، لكن نيتشه يتساءل: من أعطى لنفسه هذا الحق، حق التقرير المسبق لمعياري الطيب من جهة والخبيث من جهة أخرى؟ وعلى من ينطبقان إذن؟ يجيبنا نيتشه: إنهم الطيبون هم أنفسهم أي الناس المميزين، الأقوياء والمتفوقون بمنزلتهم وسمو روحهم هم الذين اعتبروا أنفسهم طيبين وحكموا على أفعالهم بأنها طيبة أي من الدرجة الأولى واضعين بذلك التسعيرة بالتعارض مع كل ما كان سافلا وحقيرا ومبتذلا[2].

هكذا يتضح لنا المفهوم الأول للطيب، فكلمة الطيب هنا تدل على السيد أولا أما الخبيث فهي النتيجة المنطقية لمفهوم السيد وتشير إلى العبد، خبيث أي شكل من أشكال النفي والسلب والرداءة والتعاسة، يبدو وكأن الأمر يتعلق هنا بقياس أرسطي:" أنا طيب، إذن أنت خبيث " يتضمن السبب ونتيجته المباشرة بحيث يصبح ذلك السبب أي الطيب في نظر الأسياد لا يعني سوى الخلاصة النافية وأن هذه الخلاصة تتبع كل الآثار الإيجابية بعد ذلك. فكل ما هو إيجابي موجود بالنسبة للسيد في المقدمات المنطقية، تلزمه مقدمات الفعل والإثبات والاستمتاع بهذه المقدمات نخلص إلى شيء ناف ليس الشيء الجوهري ولا هو بالمهم إطلاقا ليس أكثر من مكمل أو تلوين إضافي. إن الطيب لا يبحث عن نقيضه إلا ليثبت نفسه بنفسه مع قدر أكبر من الغبطة والفرح، وهنا يتدخل الديالكتيك كإيديولوجية حاقدة، وفي الوقت نفسه منتجة، إنها منتجة لتعدد المفاهيم والقيم. فالخبيث يرتبط بالفعل، لكن أي فعل؟ إنه ذلك الفعل أو قل رد الفعل الذي ينفصل عن الإرادة الواعية، فعل يفتقر إلى الضوابط اللازمة في المواقف الحاسمة الحرجة. إن الخبيث هو الذي يفعل والذي لا يمتنع عن الفعل والطيب هو الذي يمتنع عن الفعل، إنه طيب بالضبط في هذا، في كونه يربط كل فعل بوجهة نظر ذلك الذي لا يفعل. وبالتالي سيكون طيبا كل من لا يمارس العنف ضد أحد.

[1]- جيل دولوز : نيتشه والفلسفة ، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط1، 1993 ، ص: 153

[2]- الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى، دار صبحي للطباعة والنشر غرداية، ط1، 2015، ص: 157

لكن نيتشه يؤكد بأن الوعي بالرفعة وبالتفوق والفوارق الفاصلة، ذلك الشعور العام الأساسي الدائم والمسيطر الذي يشعر به عرق متفوق غالب، ومتعارض مع عرق أدنى مع بؤساء البشر، هو منشأ التضاد بين الطيب والخبيث[1] مما يعني هنا أن العنصر الثابت في عملية النفي هذه (بين الطيب والخبيث) هو الطيب، فهو المقدمة الثابتة لكل ما عداها من نتائج. إن أخلاق العبيد هي في جوهرها أخلاق الحقد في تجسيدها العملي في الانتقام، وهذا الرفض الانتقامي الخيالي يعبر عنه بأخلاق الشفقة. غير أن جاكلين روز[2] ترفض هذه الفكرة إذ أنها تؤكد على أن الأخلاق الطيبة والفاضلة لها المكانة الأولى باعتبار أن الفلسفة هي ممارسة الفضيلة وهي أشرف الصناعات منزلة فالفلسفة منهج مستقيم في الحياة وعلم يعدنا بأن نحيا على الفضيلة وصناعة نسلك بها من السبل أقومها، فالفلسفة ناموس حياة جميلة فاضلة تقول روز:" الفلسفة ليست عملا تأمليا محضا، بل إنها من جميع الجوانب تمرين روحي، ممارسة ذاتية وحكمة لتوجيه الحياة" [3]. فالفلسفة تعطي للروح جمالها فهي تضبط وتنظم حياتنا وتوجه أفعالنا إنها توضح ما يجب فعله، وما يجب تجنبه، إنها تمنح الإنسان الأمان. وبهذا تعتقد روز أن نيتشه قد حاد بالفلسفة عن مهمتها الأصلية وهي التأسيس للفضيلة.

ب /أخلاق الشفقة والزهد:

إن أخلاق السادة تؤكد الحياة وتتوق إلى الازدهار والتوسع وبسط النفوذ دائما ولو بالطغيان على الغير، لأنها إرادة القوة وهي الاسم الحقيقي لإرادة الحياة، وكل إرادة قوة فهي تذهب إلى حدها الأقصى لأن الحياة لا تزدهر إلا بإخضاع ما حولها وبهذا تنقلب القيم رأسا على عقب، لقد صنعت الحرب والشجاعة من عظائم الأمور أكثر مما صنعته محبة القريب[4] . فالبطل هنا من

---

[1]- نيتشه: أصل الأخلاق، ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، دت، ص: 22

[2]-وُلدت جاكلين روز" J.Rose[2]- " سنة 1949 لعائلة يهودية غير ملتزمة. كانت شقيقتها الكبرى الفيلسوفة جيليان روز. اشتهرت جاكلين روز بأعمالها التي تدور حول العلاقة بين التحليل النفسي، الأنثوية والأدب. تخرجت روز من كلية سانت هيلدا، أكسفورد، وحصلت على الماجستير من السوربون، باريس، والدكتوراة من جامعة لندن. اشتهرت بتأسيسها لفلسفة أخلاق جديدة قائمة على المسؤولية وتأثرت في فلسفتها بكانط وسبنوزا وليفيناس وهذا ما يظهر خاصة في كتابها الفكر الأخلاقي المعاصر. 1991.

[1]-جاكلين روز الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، دار عويدات للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2011، ص90

[2]-نيتشه : أصل الأخلاق، ص: 32 .

يقدم على الأمور بإرادة قوية دون أو تردد يقهر نفسه ويقهر الآخرين لا من أجل سعادته الشخصية بل من أجل إيجاد الإنسان الأعلى فالإنسان الأعلى عند نيتشه هو البطل الحقيقي.

بينما نجد في المقابل خلق الشفقة خلق المسيحية وشعارها البارز شعار المنحطين والمستضعفين، إن أصلها المسيحية. وأخلاق الشفقة تتسم بأنها ثقافة تؤيد حياة آجلة تنسي البشر حياتهم الحقة، وتؤكد خلود النفس ومحاسبتها وهنا نجد لعملية الانتقام الخيالية مسوغها ومبررها، وكل هذه مظاهر ضعف وانحطاط يبديها المشرفون على الدين (القساوسة) فضائل ليحفظوا سيادتهم على جمهور المساكين، ويقنعوهم أن التمتع بهذه الحياة وبسط السيطرة عليها سيفقدهم نعيم الحياة الأخروية ليستأثروا بها لأنفسهم لا أكثر[1].

إن المسيحية في نظر نيتشه هي أوضح نموذج لأخلاق العبيد، تتجه إلى التشاؤم عندما تعلل النفوس بالأمل في حياة أخروية أفضل، وتبدي تقديرا عاليا للفضائل الهابطة كالمحبة والعطف. وهي بهذا تقضي على إرادة الإنسان.

وبفضل هذه الحيلة يعمد العاجزون إلى القول:" فلنكن بمثابة النقيض للأشرار أي طيبين، والطيب هو من لا يمارس العنف بحق أحد تاركا الانتقام لله"[2] . وينتهي نيتشه من نقده للقيم الأخلاقية والدينية من خلال استعراضه لأصل نشأة المعايير الأخلاقية تاريخيا إلى نتيجة مفادها: أن الأخلاق السائدة (أخلاق الشفقة والتسليم والزهد) أخلاق مزيفة لأنها تحالفت مع الكذب وبالتالي كانت عقبة في وجه الإنسان في أن يكون شخصيته الحقيقية .

ب/ أخلاق القوة:

ينقلنا نيتشه من أخلاق الشفقة والزهد إلى فكرة مناقضة ارتبطت بالمستقبل في فلسفة نيتشه بالإنسان الأعلى، وهو ما كان مصدر غموض في الكثير من الدراسات التي تناولت فلسفة نيتشه، فالإنسان الأعلى هو قطعة من أعظم الحظوظ الطيبة، نمط معارض للإنسان الحديث معارض للإنسان الطيب معارض للمسيحيين والعدميين الآخرين، وهي كلمة في فم زرادشت محطم الأخلاقيات تكاد تكون مفهومة في كل وضع وفي مقابل هذا يقدم زرادشت الفهم السيئ الذي ألصق بهذا المصطلح على أنه نمط مثالي نوع أعلى للإنسان، نصف قديس ونصف عبقري وكذا

[1]- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، نيتشه، دار القلم بيروت، ط1، دت ، ص: 410 .

[2]. نيتشه: أصل الأخلاق، ص: 34 .

الفهم الدارويني، لذلك فحينما يعلن زرادشت عن ترقب ظهور الإنسان الأعلى إنما يتحدث عن الظروف الصحية التي تهيئ ظهوره، وكذا الرحم الذي يحتضنه، مع هذه الظروف يربط زرادشت ظهوره بفكرة موت الإله، لأنه ينتفي وجود أحدهما بوجود الآخر، وهذه اللحظة هي ما يسميها زرادشت بالعدمية الكاملة، فالإعلان عن ظهور الإنسان الأعلى يعني في المقابل موت الإله . فإذا انتفت هذه الفكرة في نفوس الجماهير كان ذلك ممهدا لقبول فكرة الإنسان الأعلى.

وينتقل نيتشه من المعرفة إلى التاريخ ناقلا معه إرادة القوة كمحرك للإنسان صانع التاريخ إذ جعل من التاريخ صراع وتصادم قوى، لأن غاية الإنسان هي السمو وهو جانب قد يكون لا شعوري في الإنسان، فحب السيطرة والبقاء حالتان نفسيتان تلازمان الإنسان. لذا لا تقوم فلسفة نيتشه على أساس أنطولوجي وإنما تتأسس على قواعد سيكولوجية وتهدف هذه الفلسفة إلى تبيّين أثر إرادة القوة في بلوغ الحقيقة " وكل قوة هي تملك وهيمنة واستغلال لكم من الواقع، وحتى الإدراك ذاته هو تعبير عن القوى التي تتملك الطبيعة، ويعني ذلك أن الطبيعة ذاتها لها تاريخ، وأن تاريخ شيء ما هو تتابع القوى المتصارعة من أجل انتزاعه"[1].

وعلى هذا فإن كل ظاهرة تتغيّر ويتغيّر وجودها في المكان والزمان وفقا للقوة التي تمتلكها، ويعتقد نيتشه أنه مهما كان تعقد الظاهرة فإنها تتركب من قوى فاعلة أولية، تعمل هذه القوى على الغزو والاحتلال، وقوى منفعلة ومتأثرة تعمل على التكيّف والتنظيم، ولا يمكن للتاريخ أن يدخل في حركية إلا إذا كانت القوى على علاقة مع بعضها البعض، لأن القوة إن عزلت عن باقي القوى الأخرى أصابها الجمود. فبإرادة القوة تتحكم قوة ما، وبإرادة القوة تستجيب قوة أخرى، بمعنى أوضح فإن إرادة القوة هي التي تجعل القوى تؤكد اختلافها، على أن إرادة القوة المؤثرة هي المحرك الحقيقي لصراع القوى[2] . وعلى هذا تظهر العلاقة بين القوة وإرادة القوة، فالقوة عند نيتشه هي مفهوم يتعلق بقوة أخرى ، أما الإرادة فترغب في القوة وتسعى إليها، فغاية الإرادة هي السعي إلى الحياة بامتلاك القوة، وأكد نيتشه أن الحقيقة تحتاج إلى إرادة قوية والحياة ضرب من الكفاح المتواصل، وهي بذلك لا تتاح للمستسلم المستكين وإنما تمنح نفسها للقوي المريد. وباختصار فإن التاريخ عند نيتشه تحول إلى إرادة تحكم القوى وتوجهها لصالحها وبالتالي فإن

[1]-حسين مؤنس : التاريخ والمؤرخون ، دار المعارف ، القاهرة، ط4 ،1984، ص: 113

[2]- السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، الدار العربية للعلوم ، بيروت،ط1 ، 2004، ص: 60

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

سيطرة القوى هو المبدأ الذي يفسّر به التاريخ، ومرة أخرى ترفض جاكلين روز هذا التفسير النيتشوي بحجة أن التاريخ هو سعي الإنسان إلى تحصيل السعادة وتجاوز الشقاء بعيدا عن الصراع الإنساني، وهذا مرهون بمدى تحرر الإنسان من كل ما يمكن أن يعيق سعيه في أن يكون فاضلا، ولما كان الإنسان الطبيعي هو الذي لا ينفر من غيره، فإن الأخوة الإنسانية هي صوت الله ، وهي تعبير عن إرادته الكونية التي يصنعها الضمير الخلقي وهو صوت صادر عن إله الجميع لا إله البعض دون البعض، وأن هذا الإله هو إله كوني، فالخير منشأه الطبيعة الإنسانية القائمة على الخير وليس الصراع[1]. وعليه تعتقد روز أن إرادة الإنسان يجب أن تكون نابعة من حالة براءة وطهارة. وهادفة إلى تحقيق الأخوة الإنسانية.

2/ جاكلين روزوأخلاق العدمية:

أ/ حول مفهوم العدمية:

إن مشكلة العدمية اليوم مرتبطة ارتباط وثيقا بمشكلة القيم، وكانت من صلب التساؤلات الفلسفية في المجال الأخلاقي، وأصبحنا نتكلم عن العدمية وضياع المعنى وزوال القيم، وعلى قيم يزعم البعض بأن لا مجال لتجاوزها، والعدمية حسب ما جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا كلمة مشتقة من اللفظ اللاتيني" Nihil "أي العدم أو اللاشيء، إنها تظهر في فعل إبطال أو إعدام[2]. ويعرفها لالاند على أنها مذهب يقول بعدم وجود أي شيء مطلق، إنها مذهب ينفي وجود أي حقيقة أخلاقية، وأية هيكلة للقيم، وهي مذهب يتساءل عن: ما جدوى ذلك؟ ولا يمكنه الجواب[3] . والعدمية ثلاثة أقسام، فلسفية وهي المرادفة للريبة سواء مطلقة أو نقدية تتميز بإنكار كل شيء أو إنكار قدرة العقل على بلوغ الحقيقة، وأما العدمية الأخلاقية ، فهي مذهب نظري تدل على إنكار القيم الأخلاقية، وهي نزعة فكرية تدل على خلو العقل من تصور هذه القيم ، وأخيرا العدمية السياسية وهي التي تعمل على هدم الأوضاع السياسية والاجتماعية

[1]-جاكلين روز: مغامرة الفكر الأوروبي، ص: 232.

[2]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، ط1، 1976، ص: 66

[3]- لالاند: الموسوعة الفلسفية، ترجمة احمد خليل، مج1، منشورات عويدات، بيروت، ط1 ،2001،ص: 871

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

والثقافية السائدة وهي مرادف للفوضوية[1]. ويمكن القول إجمالا أن العدمية هي الاعتقاد بأن كافة القيم والأخلاق ليس لها أي أساس أو قاعدة يمكن الرجوع إليها أو القياس على أساسها، فالعدمي الحقيقي هو الذي لا يؤمن بأي شيء، وليس عنده أي وفاء لأي مذهب، إنها تؤكد أن العالم كله بما في ذلك وجود الإنسان عديم القيمة وخال من أي مضمون أو معنى حقيقي.

وتجدر الإشارة إلى أن اللاأدرية الأخلاقية هي شكل من أشكال العدمية الأخلاقية فالعدمية الأخلاقية يمكن القول أنها تعتقد بأنه لا شيء صحيح أو خاطئ من الوجهة الأخلاقية، العدمية بهذا المعنى مترتبة لا شك على الاعتقاد بأنه لا وجود لمعيار أخلاقي صحيح أو مطلق الصحة[2].العدمية إذن هي الاعتقاد باللاشيء فالإيمان والقيم الإيمانية تنعدم أو تتلاشى في العدمية، فلا يوجد فرق بين الوجود الإلهي وعدمه ولا يوجد هناك مطلق أو أي أزمنة موضوعية أو ممتلكة للحقيقة المطلقة ، وخصوصا الأخلاق الحقيقية الفاضلة، فكل شيء مباح ولا اعتبار للأخلاق مطلقا، فالعدم عندهم هو نهاية الوجود كما أن العدمية تعتبر الدين خطرا أساسيا على الفرد والمجتمع، لأنه يعطل العقل والعدمية في الغالب تصنيفان:

. الأولى: عدمية هامدة وتعرف أيضا (بالعدمية الاجتماعية) وهي ما يصطلح عليها بالوجودية والعدمي الهامد عادة ما يلازم ويكون مصاحب بأمزجة يأس وحالات تدمير عشوائية، وهي تتنكر للحياة نفسها، فهي متمردة ورافضة لكل القيم.

. الثانية: عدمية نشطة فعالة (العدمية السياسية) وهي محاولة القضاء على كل القيم بما في ذلك القيم المتصلة بالفكر الديني، وهذه العدمية يمثلها الفيلسوف الألماني نيتشه، وتسعى هذه العدمية إلى تدمير الكامل لكل القيم السائدة سواء كانت نابعة من العقل أو الدين. إن المنظّر الأساسي للعدمية في العصر الحديث هو نيتشه الذي كان منذ نهاية القرن التاسع عشر مناديا ومنظر للعدمية ملخصا ذلك في العبارة التالية " الحط من قدرة القيم العليا" و"موت الله" في مفهومه إلى فتح المجال والدروب أمام الفلاسفة للإبداع والتنظير[3].

[1]- - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص: 67.

[2]- محمد مهدان رشوان: تطور الفكر للأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1998، ص: 31.

[3]- مصطفى عبده:فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1999،1، ص: 22،23.

وبينت جاكلين روز أن فلسفة "نيتشه" تعد إطلالة فكرية ومعرفية منفردة وأسهمت بشكل واضح المعالم في حقل الفلسفة الأوربية على مدى قرن من الزمن ذلك أن الأفكار التي بشر بها "نيتشه" كموت الله، العدمية، الإنسان الأعلى وغيرها أثرت بشكل واسع في الأوساط الفكرية العالمية، إذ أكدت روز أن نيتشه "تمعن في أوربا وتمعن في الأفكار الأوربية، ولكن على ضوء أزمنة وليس في ذروة تألقها واهتم بالمرض الذي تعاني منه ثقافة أوربا وعاينه معاينة دقيقة بغض النظر عن مدى فعالية الحلول الفلسفية التي قدمها، لأن جاكلين روز لن تتبنى لاحقا فلسفة نيتشه، رغم أنها لا ترفضها بشكل مطلق[1].

إن روز تعتقد أن نيتشه قد شخص وضع أوروبا واختبر القرن التاسع عشر، وأكد أنه يعاني من مرض هو انعدام التفكير والقدرة على التجديد، التي هي حسبها ظاهرة روحية مرتبطة بموت الله كما أعلن "نيتشه". فقد كشف الأقنعة التي يختفي ورائها الزيف، للوصول إلى اللانظام، واللاحقية واللاإنسان واللا انسجام وزعزعة مركزية العقل الأوربي، والانتهاء باستلام العقل للاعقلانية الجديدة التي يطرحها "نيتشه" لأنها هي الأضمن لتطوير الإنسان وسيادته وهي التي ستقوده إلى إرادة العدمية. فموت الله كما وضحت روز يعني بداية ظهور سيطرة العبثية واللاشيء والعدم، ذلك أن العدمية تأتي من حكم اللاشيء مباشرة من موت الله الذي طردته الحداثة فلم يعد أمام الإنسانية إلا عالما فارغا وباطلا فموت الله هو موت الآخر ونهاية المعنى، كأن شمسا قد غابت وكأن ثقة عميقة قد تحولت إلى شك[2]. فقد رأى "نيتشه" أن الإنسانية قد عاشت حتى الآن على عبادة الأصنام، أصنام في الدين في الأخلاق وأصنام في السياسية وأصنام في الفلسفة، لهذا رأى أن مهمته هي الكشف عن هذه الأصنام وتحطيمها في كل ميدان من هذه الميادين، لذا كان مشروعه الفلسفي مؤسس على نقد القيم السائدة، فالقيم عنده يجب أن تكون نقدية وهو ما فشل فيه سابقوه وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني "كانط".

وقد لخص نيتشه العدمية فيما يدعوه بـ"موت الله" وسقوط القيم العليا "فكل القيم والأخلاق الحديثة برمتها خاطئة وغير قابلة للتقدير وللتطبيق ليكشف لنا مصير الإنسانية، وهذا ما أكدته روز بقولها "لا يوجد في موت الله شيء يدعوا إلى التندر: أنه يكشف المصير الجديد

[2]- جاكلين روز، مغامرة الفكر الأوربي، ترجمة أمل ديبو، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2011، ص: 34

[2]- نفسه ، ص: 349.

للإنسان في عالم لم يعد لله مكان فيه"[1]. لكن هذا الاعتراف من روز يعكس فقط تضمرها من الفكر الديني الساذج وليس بالمطلق كما هو الحال عند نيتشه. ويعرف نيتشه العدمية بقوله "وقد حصل التناقض بين العالم الذي نبجله، والعالم الذي نعيشه، الذي نشكله نحن، ولا يبقى إمامنا سوى أمرين، إما القضاء على تبجيلنا، وإما القضاء على أنفسنا بأنفسنا وهذه الحالة الأخيرة هي العدمية"[2].

فهناك تناقض بين العالم الذي يقدسه الغرب ويباركه، وبين العالم الذي يحيا فيه ويشكل واقعه الفعلي، وهذا التناقض يقتضي ترجيح أحد الموقفين إما التغلب على العالم المفارق، وإما التغلب عن العالم المحايث الذي يشكل فضاء الذات الغريبة والعدمية في صورتها الأولى هي اختيار للموقف الثاني، فالعدمية هي غياب الهدف إنها تحطيم لقيمة القيم السامية، إنها الإيمان باللاقيمة، وهذا ما أكدته روز " العدمية هي هذه التجربة بالفراغ المرتبطة باليهودية، المسيحية فعندما تزول العقائد القديمة المرتبطة بما فوق الحسي وتخفض قيمة القيم العليا، وينفتح أمام الفكر فضاء جديد"[3]. كن هذا التوافق بين روز ونيتشه له أفق ضيق جيد وهو السذاجة التي وصل إليها العقل من جراء استسلامه لبعض النصوص الدينية دون أدنى نظر واعتبر "نيتشه" حالة المجتمع الغربي حالة مرضية انتقالية انتهت إليها الحضارة المعاصرة، بعد أن أدركت أن الوجود في أساسه بلا غاية، بلا وحدة وبلا حقيقة فقد قدر للبشرية أن تدرك هذا الفراغ المروع بعد أن كان الاعتقاد الراسخ لدى الناس أن الوجود يحمل معنى في ذاته يقول نيتشه: " إما أن القوى المنتجة لم تصر بعد قوية بما فيه الكفاية، وإما أن الانحطاط لا زال يتردد ولم يبتكر وسائله بعد"[4]. وبهذا تكون العدمية هي اللا يقين أو الثورة على ما هو سائد وأحيانا حتى داخل النفس. يقول نيتشه: "كل تقييم أخلاقي محض يؤدي إلى العدمي، ولابد من انتظار حلول لها بأوربا ... بوسعنا تفادي ذلك بإتباع أخلاقية ليست لها خلفية أخلاقية، ولكن هذا يفتح

[1] - جاكلين روز : مغامرة الفكر الأوربي، ص: 349.

[2]- نيتشه: إرادة القوة (محاولة لقلب كل القيم)، ترجمة محمد الناجي، المغرب، ط1، 2011، ص: 11.

[3]- جاكلين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، دار عويدات للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص: 25

[4]- نيتشه: إرادة القوة، ص: 03.

الطريق حتما للعدمية"[1]. وبينت جاكلين روز أن العدمية الحقيقية هي عدمية الأزمنة الحديثة فتأثيرها يمس المجتمع الأوربي وثقافته بشكل عام والفرد بشكل خاص.

العدمية على هذا النحو هي التبرؤ التام من كافة القيم والمعاني المزيفة، إنها كما بيّنت روز الغياب التام للمعنى، ولكن العدمية ليست الاعتقاد فقط بأن كل شيء يستحق الموت والفناء. بل أن يضع الإنسان كتفه على الحوادث وأن يدمر السائد يقول نيتشه: " ليست العدمية مجرد تأمل وليست فقط إعادة الإيمان بأن كل شيء يستحق الزوال إننا نشارك فيها بالفعل، وندمر. ذلك أن كل القيم السامية تفتقر إلى الإرادة، إنها قيم ساقطة، وقيم عدمية. إن الفيلسوف العدمي مقتنع بأن كل ما يحدث لا معنى له، وبأنه يحدث دون جدوى، ولكنه لا يجب أن يكون هناك وجود عديم الجدوى أو خال من المعنى، إن النظرة إلى مثل هذا الوجود الفارغ والعديم الجدوى لا ترض الفيلسوف، إنها تخلق لدينا انطباعا بالفراغ والخراب. والتقويم حسب روز هي "تأويل" لأننا عندما نقوّم فنحن في الحقيقة نرى الأشياء من جهة نظرنا للحاجة، ذلك أن الظواهر الأخلاقية لا وجود لها في ذاتها، وكل ما هنالك تفسير أخلاقي للظواهر فحسب[2]. بهذا يمكن اعتبار الأخلاق نمط تقويم، بما أنها تحدد كل ما تراه اتجاه الأشياء، وهي أساس لكل تأويلاتنا.

ب/ جاكلين روزوفلسفة القوة عند نيتشه:

إن عملية التقويم تقوم على نوع من الفردانية والاختلاف، ذلك أن القيم ناتجة عن تأويلات تنبع من الذات على اعتبار أن الإنسان الأرقى هو خالق القيم وموجدها، من هذا المنطلق كانت مسألة تشريع القيم مسألة مركزية في فلسفة "نيتشه" لأنها هي التي تحدد نوعية الحياة التي يعيشها كل إنسان[3].وتساءل "نيتشه" في كتابه (أصل الأخلاق) الذي ألفه في سنوات مبكرة من عمره حول: ما هو أصل الأخلاق الذي ينبغي أن نغدو إلية في نهاية الأمر، ما لدينا من أفكار حول

[1]- نفسه، ص: 18.

[2]- عبد الرحمان بدوي: نيتشه، وكالة المطبوعات، بيروت، ط1، 1975، ص: 163.

[1]-زروخي الدراجي، محمد بومانة وآخرون: مبادئ الفلسفة العامة، الحكمة للنشر، الجزائر، ط1،2015، ص: 154.

الخير والبشر؟ سينتقل التساؤل فيما بعد إلى: ما هي الشروط المساهمة في ابتكار مقاييس الخير والشر بغية توظيفها في الحياة؟ ذلك أن ما يهم الإنسان في هذه الحياة ليس الحقيقة في حد ذاتها، بل القيمة التي من خلالها نقيس تلك الحقيقة. ثم انتقل إلى التساؤل: هل يعتبر الخير والشر عارضان من عوارض البؤس والفقر الروحي والانحطاط؟ أم أنهما ينمان عن الغبطة والقوة والعزم على العيش والشجاعة والثقة بالنفس وبالحياة؟

واقتضت منه هذه الأسئلة أن قام برحلة استكشافية وتقفي جال خلالها بين العصور والأجيال والشعوب محاولا تحديد مواطن الخصوصية في مشكلته.ويحاول "نيتشه" في كتابه "ما وراء الخير والشر" أن يقيّم التاريخ الأخلاقي كله، ويميز في الأخلاق التي عرفتها البشرية بين صنفين متقابلين ومتناقضين أخلاق السادة وأخلاق العبيد وكل نظريته الأخلاقية تقوم على أساس هذه المقابلة.

ويعرّف "نيتشه" أخلاق السادة بأنها أخلاق الشخص الحازم قوي الإرادة، المحب للحرب، إنها أخلاق الرجولة والشجاعة والإقدام والجرأة وحب المخاطرة وحب القوة أي جميع الفضائل التي يتصف بها الإنسان ذو النفس الكبيرة كما يقول أرسطو.أما النقائص المقابلة وهي صفات الخضوع والوضاعة والتهيب والعجز والاستلام التي تولد الذل والعجز الذي ينتج طلب المساعدة من الغير، إنها إرادة السيطرة والنفوذ يقول: "إن إرادة الحياة أسمى الإرادات وأقواها، لا تعبر عن نفسها في التنازع التعس من اجل البقاء، بل في إرادة القوة والسيطرة"[1].

إنها الإرادة المتفوقة وبقدرة اكبر تخضع سائر الوظائف بدل أن تخضع لها.يقرر "نيتشه" بعد ذلك أن الخير في أخلاق السيد التي هي عند أقوياء الإرادة، كالنبل والقوة والشدة ، بينما الشر يتجسد في الضعف والجبن والخجل والوضاعة وإن جوهر أخلاق السيد يكمن في النبل، يقول نيتشه: "إن أخلاق السادة تفيض بشعور الامتلاء والقوة وسعادة التوتر السامي والإحساس بالثراء القادر على العطاء والبذل، الإنسان النبيل يسعف أيضا البائس، ليس بدافع الشفقة والرحمة ولكن بدافع القوة الفائضة والإنسان النبيل يمجد ذاته باعتباره رجلا قويا وباعتباره أيضا يمارس قوته على ذاته، فيعرف كيف يتكلم وكيف يصمت ويبتهج بكونه قاسيا وصارما مع

[1]- نيتشه: أصل الأخلاق، ص: 22.

نفسه ويحترم كل قسوته وكل صرامته... كل هذه خصائص تتميز بها الأخلاق النبيلة"[1] .إن الأخلاق هي إرادة القوة فأخلاق السيد تنبع من القوة والنبل.أما أخلاق العبيد فتقوم على مبدأ مختلف كل الاختلاف إنها تنبع من الضعف إنها النقيض لأخلاق السيد .

إن الضعفاء لا يقدرون على تذوق الحياة كما تقول روز أو يصنعون أفراح الحياة والعمل، ويضعون القيم الأخلاقية بفعل كرههم (للأسياد) والمبدعين إنهم كما تؤكد روز يعوضون عن فراغ حافزهم ويعطلون مفعول هذا الفراغ بالانتقام من المبدعين. لهذا تقول روز " ماذا يوجد في النهاية في فكرة الأخلاقيات غير العدم وغياب الحياة، والحزن والشعور بالذنب وكره الذات، الخوف أساس كل الأخلاقيات بينما الفكر الحر يتجاوز الخير والشر، إذن نحن على عتبة حقبة خارج نطاق الأخلاقية"[2]. إذن روز تقر بمنطلق نيتشه لكن توجه عدميته لإنقاص الأخلاق لا لتمرد كما يفعل نيتشه وإحياء فلسفة الواجب بمنظور القوة، فمع "نيتشه" أصبح المطلوب هو تجاوز الأخلاقيات إلا أن حكمه على الأخلاقيات يبقى مبهما وقاسيا، لذلك تؤكد روز أن الأخلاق يجب أن تصبح سياسية لكي تظهر فعلا للوجود. ويؤكد "نيتشه" حسب قراءة جاكلين روز أن هذا الصنف من الأخلاق هي في الحقيقة قيم كهنوتية برزت في اليهودية والمسيحية، ويعتقد أن هذه القيم الكهنوتية ، تعمل على إغماض عيني الإنسان كي لا يرى كي لا يعرف الزيف الذي لا يقوى عليه، فالكهنة هم الأعداء الأكثر شرا لأنهم الأكثر عجزا وهذا ما يظهر في قول نيتشه " إن القيم الكهنوتية تنشأ من حقد مكبوت يفجر في الكهنة ذلك الإحساس بالعجز ، وفقدان روح المغامرة، وإرادة القتال التي تميز النبلاء ... لقد حاول اليهود قلب معادلة القيم الارستقراطية رأسا على عقب طيب يعني نبيل ، قوي يعني جميل، سعيد يعني محبوب من الله، أكدوا أن المساكين وحدهم هم الطيبون والمباركون من الله، والغبطة والسعادة وقف عليهم ليس إلا، أما أنت أيها النبيل القوي فمازلتم منذ الأزل معشر الخبثاء والطغاة والجشعين والكفرة وستضلون إلى الأبد منبوذين، ملعونين هالكين"[3]. "فنيتشه" يرى أن اليهود هم أول من قام بثورة العبيد في الأخلاق، ومنه كانت أخلاق العبيد في جوهرها أخلاق الحقد وتجسيدها العملي في الانتقام من

[1]-نيتشه : ما وراء الخير والشر ، ترجمة حسان بورقية، إفريقيا الشرق الدار البيضاء، ط1، 2006، ص: 248

[2]- جاكلين روز: مغامرة الفكر الأوربي، ص: 352.

[3] - نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن تبسي، د ت، ص: 20

قيم السادة ذلك أن الحقد هو الفاعل الذي يبدع قيمها، قيم المثل الأعلى، فقد شعر العبيد بأن وضعهم شيء، ورجحوا البقاء فيه، فخلقوا بذلك قيم الإعراض عن الدنيا والتواضع والزهد[1].

وتعتقد روز أن نيتشه خالف فلسفة الرحمة والشفقة واعتنق فلسفة أخلاقية تدعوا إلى القسوة بدل الإحسان، ذلك أن الشفقة في نظره هي أخلاق الخمول والراحة والاستسلام وأنها نوع منحط من حب الحياة، فالإنسان الضعيف يتمكن عن طريق الشفقة من نفي الحياة والحط من قيمتها ، وهو بذلك أي الضعيف يستخدم الحياة كوسيلة للدفاع عن أولئك الذين رفضتهم الحياة وأقصتهم وجعلتهم خارج دائرتها،ومن حيل أخلاق الشفقة أنها تصف الجرأة بالتهور والشجاعة والقوة بالعنف والرعب، لذلك نجد أنها تطالب القوة بأن لا تتجلى بما هي قوة بأن لا تكون إرادة اكتساح وإخضاع وهذا أشبه ما يكون بمطالبة الضعف بأن يتجلى بقوة، وبفضل هذا التجلي يعمد العاجزون إلى القول:" فلنكن بمثابة النقيض للأشرار، أي طيبين والطيب مؤمن لا يمارس العنف بحق احد تاركا الانتقام لله "[2].

ويمثل رجل الدين . حسب نيتشه . أخطر أنواع المتطفلين ، فهناك أخلاق تنسجم معها في وظيفتها وأهدافها يحلو "نيتشه" أن يعبر عنها بالمثل الزهدية وهي على أشكال متعددة لا يمكن حصرها، وكلها تتنوع حسب إرادة الشخص في أن يكوّن إرادة عدمية بدلا من أن تكون له إرادة بالمرة، حيث أن المثال الزهدي يتوق إلى إغراءات المجد، النساء والأمراء، لكن يؤكد نتشه أن هناك غريزة الأمومة أي الغريزة التي تجعل المرأة في موضع التابع دائما.إن الكاهن الزاهد مثلا بدلا من أن يكون قد أعد سلفا لرعاية المرضى والمجانين والبؤساء والأشقياء، تحولت مهمته التاريخية إلى السيطرة على المتأملين وهذا بدوره قد أعدته غريزة للقيام به لا محال ليضمن استمراريته وسلطته، لذلك يعتبر نيتشه المسيحية أشأم وأكذب نموذج عرفته الأرض في الإغراء حتى اليوم، واعتبر الشفقة حالة مرضية وخطرة يجب أن تعامل بالتطهير ذلك أن الشفقة هي الانصهار في التبعية[3]، وسعى "نيتشه" إلى القضاء على كل ما يعارض القوة ويعرقل سبل سيرها،

[2]- عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، العمدة في فلسفة القيم، دار صلاح، دمشق،ط1، 1986، ص: 125.

[2]- نيتشه: أصل الأخلاق، ص: 32.

[3]- نيتشه: عدو المسيح، ص: 32،33

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

ويقف في طريق تقدم الإنسان من قيم وأخلاق، مثل: الرحمة، العدل، الحب ، كل هذه الأمور تعيق الإنسان في عملية ارتقائه، والقوة تدعوه إلى أن يتجاوز كل هذا، ويرتقي بنفسه ويرتفع إلى مستوى أعلى، إلى الإنسان الأقوى، أو ما يسميه بالسوبرمان، أين تصل الإنسانية إلى أرقى المراتب باستخدامها للقوة في الصراع بين الضعفاء والأقوياء، ومن ثم يقضي على الضعفاء ولا يبقى إلا الأقوياء ، لتكشف شخصية هذا البطل القوي أي الرجل الأعلى أو بالسوبرمان يقول نيتشه: " إنني أحب من لا غاية لهم في الحياة إلى الزوال، فهم يمرون إلى ما وراء الحياة أحب من عظم احتقارهم لأنهم عظماء، أحب المبتعدين بدفعهم الشوق إلى المروق إلى الضفة الثانية ... أحب من يقدمون ذاتهم قربانا للأرض، لتصبح هذه الأرض يوما مراثا للإنسان المتفوق"[1].

فعظمة الإنسان قائمة على أنه مقدام وليس خانع، والإنسان المتفوق عكس الإنسان الوضيع والحقير، والوضيع رجل القطيع أي يتبع الأخلاق الأوربية التي رفضها "نيتشه" صارخا: " إن الأخلاق في أوربا اليوم هي أخلاق حيوان القطيع، مما يعني على حسب فهمنا للأمور أنها مجرد ضرب واحد من ضروب الإنسانية يمكن أن يكون أو يجب أن يكون في جوارها وأمامها ووراءها أنماط وأخلاق أخرى عديدة وقبل كل شيء أخلاق أعلى"[2]. إن الكون .حسب رؤية نيتشه .له مبدأ واحد هو الحياة والحياة هي إرادة القوة. لذا لا تقوم فلسفة نيتشه على أساس أنطولوجي وإنما تتأسس على قواعد سيكولوجية وتهدف إلى تبني إثراء إرادة القوة في بلوغ الحقيقة: "وكل قوة هي تملك وهيمنة واستغلال لكل من الواقع، وحتى الإدراك ذاته هو تعبير على القوى التي تتملك الطبيعة.

ويعتقد «نيتشه" أن إرادة القوة كشفت له حقيقة الخير والشر لأنها إرادة إبداع أو غريزة تحفز إلى الهدف الأسمى. وهذا ما نلمسه في قول روز:"أن الأخلاق النظرية الحقيقية في رأي نيتشه والفضيلة الحقيقية درب القيم الجديدة، إنما ينتظمها مبدأ القوة التأكيدية، وإرادة القوة بوصف هذه الإرادة طاقة غازية ومسيطرة إرادة المزيد من القوة الفاعلة والحركية، بصفتها ملكة مبدعة "[3].

[1]- نيتشه: هكذا تكلم زرداشت، ترجمة فليكس فارس، مطبعة جريدة البصرة، الاسكندرية، ط1، 1938، ص: 08.

[2]- نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص: 150.

[3]- جاكلين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص: 36.

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة "الإنسان الأعلى" احتلت المكان الذي كانت تشغله فكرة "الله" إذ يعلن "نيتشه" بصريح العبارة أن الإنسان الأعلى هو الإله الجديد، يقول نيتشه على لسان زرادشت: " إن الله قد مات لقد أتيتكم بنبأ الإنسان المتفوق إنه من الأرض كالمعنى من المبنى، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الإنسان المتفوق معنى لهذه الأرض ورجالها أتوسل إليكم، أيها الإخوة أن تحفظوا الأرض بإخلاصكم فلا تصدقوا من يمنونكم بآمال تتعالى فوقها"[1]. فالإعلان عن موت الإله غايته إنقاذ العالم من حتمية المفاهيم وإطلاق القوة الإبداعية الكامنة في إرادة الإنسان. لذلك تؤكد روز أن: "نيتشه هو من المفكرين الأوائل الذين أعادوا الاعتبار لمفهوم الفوضى وهو مفهوم أساسي في الفكر الحديث كله"[2]. إن نيتشه يتصور بدعوته إلى الإنسان الأعلى أنه هو فجر ذلك اليوم الجديد الذي سيطلع على البشرية قاطبة، فقد نظر إلى الإنسان فوجد أن ثمة قوة إبداعية هائلة تكمن في أعماق إرادته، ولكن هذه القوة الكبرى قد بقيت حتى الآن معطلة نتيجة لانشغالنا بالانحناء أمام القدرة الإلهية المزعومة. لذلك تؤكد روز أن "نيتشه": "لم يصف فقط المرض الأوربي بل حضر التركيبة الجديدة، تركيبة الإنسان الأوربي المستقبلي الذي يتجاوز النزعات القومية المتناحرة ويستعيد الروح الأوربية"[3]. ويؤكد "نيتشه" أن إرادة القوة لا تؤدي دورها على أكمل وجه إلا إذا شعر الإنسان بالقوة والقسوة باعتبارها أعظم وسيلة تؤدي إلى تقوية الإنسان، وجعله يعلو على ذاته والآخرين يقول نتشه: " بناء اجتماعي من دون تراتبية محال، إن الامتناع عن العنف والانتهاك والاستغلال المتبادل، والمساواة بين إرادة الذات وإرادة الآخر يمكن أن يصير بمعنى معين وعام من مكارم الأخلاق بين الأفراد، إذ ما توفرت الشروط الملائمة لذلك"[4]. فهو يدعوا إلى التخلي عن القيم الخلقية التي يعتبرها فعل ضار بالبناء الاجتماعي للناس. وترفض جاكلين روز هذه الفكرة رفضا مطلقا إذ تعتقد روز أن التسامح هو الأصل في بناء تركيبة إنسانية منسجمة وخالية من كل الأحقاد في سبيل تحقيق دولة كونية إنسانية خالية من الاستبداد والاستعباد. وقائمة على أساس حب الآخر وتحمل المسؤولية

[1]- نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص: 06.

[2]- جاكلين روز: مغامرة الفكر الأوربي، ص: 350.

[3]- نفسه، ص: 351.

[4]- نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص: 245.

اتجاهه تقول جاكلين روز:" إن الالتقاء مع الآخر هو دفعة واحدة مسؤولية تجاهه، ذلك أن رؤيتي لوجه الآخر هي اضطلاع مني بمصيره"[1]. وبهذا تنفي روز فكرة الرجل الكامل عند نيتشه.

3/ نقد جاكلين روز لأخلاق العدمية:

أكدت روز مسبقا، أن العدمية هي النسبة إلى اللاشيء التي كان "نيتشه" رسولها دون منازع، إنها كما تقول روز " تبدد كل المرجعيات أو معايير الإلزام، وأن القيم العليا تخسر قيمتها، إنها تدل على الظاهرة الروحية المرتبطة بموت الإله والمثل فوق الحسية ، ومن هذه العدمية تنبت الأزمة الحالية للأخلاق النظرية، ومنها يبدأ تشكل القيم الجديدة للحداثة"[2]، وفي هذا إشارة واسعة إلى هذا الفراغ في الأخلاق النظرية، ذلك الغياب لكل أساس ومعنى، إنها مرحلة كما تؤكد "روز" تعوزها الأهداف وتنحط فيها القيم العليا، وهذا ما أشار إليه هانز يوناس قائلا : " إننا نرتعد الآن في عداء عدمية تتزاوج فيها اكبر قدراتنا مع الفراغ الأكبر"[3]، ذلك أن الأخلاق النظرية تجد ذاتها اليوم مزعزعة من حيث ممارستها. فالأمر الأساسي يعوزنا اليوم، وغروب المعنى يطرح التساؤل عن الواجب والإلزام والأمر. لهذا نجد أن جاكلين روز ترفض فكرة العدمية لأنها كما تقول " العدمية وموت الإيديولوجيات يقودان إلى سلخ الشرعية عن المبحث القيمي وما وراء الأخلاق ونحن الآن في حداد مرغمون على الابتكار من أجل البقاء، لأن مجرد النجاح ليس البتة بذاته معيارا، فهو يقتضي إعادة تقويم نظري ففي موقع هذا الفراغ تولد الأخلاق النظرية المعاصرة، أخلاق عصرنا"[4]. لهذا تعتبر جاكلين روز أن العدمية التي قال بها نيتشه هي صورة لحياته القلقة المليئة بالآلام، كما أن تحليله للمثال الزهدي تنطبق عليه تمام الانطباق فهو إذ يرجع كل زهد في الحياة، ملذاتها وشهواتها ورغباته إلى غاية أسمى ترجحها إرادة الفيلسوف أو الكاهن عليها، نجده كذلك وفي فترة من حياته قد استبد به المرض يؤكد مذهب توكيد الحياة وإرادة الحياة وهو في أمس الحاجة إليهما على مستوى الحركة.

[1]- جاكلين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص: 65.

[2]- جاكلين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص: 14.

[3]- نفسه، ص: 14.

[4] - نفسه، ص: 15،16.

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

ومنه فهو يحل (الإنسان الأعلى) محل (الطاغية) و"الحيوية النفسية " محل (الشهوة البدنية)، لكن قوة الإنسان الأعلى ليست قوة بذاتها بقدر القيمة التي تخلقها أو تضفيها من وعلى الموضوع الذي تخدمه، فكظم الغيظ . مثلا . أصعب من إعلانه والصفح أصعب من الانتقام. إن جاكلين روز تؤكد على أن فلسفة نيتشه تنم عن صراع نفسي داخلي يعكس نوعا من الاضطهاد ربما جراء حكم الكنيسة وكبحها جماح التفكير لفترة طويلة في أوروبا، ويبدو حسب جاكلين روز أن نيتشه لم يجد موجها في طريقه سوى فلسفة التشاؤم لأستاذه شوبنهاور، والتي زادت من حدة الصراع النفسي الذي يعيشه نيتشه، ورغم الثورة التي أحدثها نيتشه في مجال الفلسفة، إلا أن فلسفته لا يمكن أن تكون نموذج إنساني يقتدى به، لأنها تجعل الإنسان بعيدا عن الغيرية والخير وقد تكون هذه الفلسفة تعبير عن وضع عاشه نيتشه، لكنها لا يمكن أن تكون تعبيرا عن حياة البشر جميعا، وفلسفة نيتشه محكوم عليها بالزوال ولن تكون أبدا فلسفة كونية وانطلاقا من فكرة نيتشه في حد ذاته والتي مفادها أن النظرية التي يكتشفها الفيلسوف في مرحلة معينة من حياته تعكس تلك المرحلة، ولن تسع حياة غيره مهما يكن تساميه فوق الزمن وفوق الوقت، انطلاقا من هذا تؤكد روز أن فلسفة نيتشه فلسفة ميتة فمن جهة عبرت عن فترة زمنية انقضت ، ومن جهة ثانية أن إنسان اليوم أصبح يؤمن بالتكتل والوحدة مع الغير .

خاتمة:

استطاعت جاكلين روز أن تفند فلسفة أخلاق القوة عند نيتشه فهي تعتقد أن هذه الفلسفة تعتبر إعدام واحتقار للآخر، ومن هنا كان مجال فلسفة القوة والعدمية عند نيتشه الصراع والتناحر، لذا يجب إعدام هذه الفلسفة وإحياء فلسفة كانط القائمة على احترام الإنسان بوصفه غاية في حد ذاته. وبهذا فقط يستطيع الأنا أن يتوافق مع الآخر. وهو ما يمهد الطريق لقيام فلسفة الغيرية.

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)